بتقصير الصابئة الضالة المخبين وجعل مضمونه معراج الرسول ترقيه بتكره الى الافلاك
وان الأنبياء الذين رآهم هم الكواكب فآدم هو القمر وادريس هو الشمس والانبياء الاربعة
هم العناصر الاربعة وانه عرف الوجود الواجب المطلق ثم انه بعظم ذلك وجعله من
الاسرار والمعارف التي يجب صونها وسرها عن افهام المؤمنين وعلمائهم حتى أن طائفة
منهم كانوا يعظمونه لما رأوا ذلك تعجبوا منه غاية التعجب وجعل بعض المتعصبين له
يدفع ذلك حتى أمروه النسخة بحفظ بعض المشايخ المعروفين المخبرين بحاله وقد كتبها
في ضمن كتابه الذي سماه المطالب العالية وجمع فيه عامة آراء الفلاسفة والمتكلمين.

وتجد ابا حامد الغزالي مع ان له من العلم بالفقه والتصوف والكلام والاصول وغير
ذلك مع الزهد والعبادة وحسن القصد وتبحره في العلوم الاسلامية اكثر من اولئك يذكر
في كتاب الاربعين ونحوه كتابه المضنون به على غير اهله فاذا طلبت ذلك الكتاب واعتقدت
فيه اسرار الحقائق وغاية المطالب وجدته قول الصابئة المتفلسفة بعينه قد غيرت عباراته
وترتيبه ومن لم يعلم حقائق مقالات العباد ومقالات أهل الملل يعتقد ان ذلك هو السر
الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وانه هو الذي يطلع عليه المكاشفون الذين ادركوا
الحقائق بنور الهي فان ابا حامد كثيرا ما يحيل في كتبه على ذلك النور الالهي وعلى ما يعتقد
انه يوجد للصوفية والعُبّاد برياضتهم ومداركهم الحقائق وكشفها لهم حتى
يزنوا بذلك ما ورد به الشرع وسبب ذلك أنه كان قد علم بذكائه وصدق طلبه ما ذكرته
المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب وآتاه الله بما بخلا كما اخبر به عن نفسه وصار
يتشوف الى تفصيل الجملة فيجد في كلام المشايخ والصوفية ما هو اقرب الى الحق وأولى
بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين والامر كما وجده لكن لم يبلغه من الميراث النبوي الذي عند
خاصة الامة من العلوم والأحوال وما وصل اليه السابقون الأولون من العلم والعبادة
حتى بالوارد المكاشفات العلمية والمعاملات العبادية ما يملأ أولئك فصار يعتقد ان تفصيل
تلك الجملة يحصل بمجرد تلك الطريق حيث لم يكن عنده طريق غيرها لانسداد الطريقة

الطريقة الخاصة السنية النبوية بما كان عنده من قلة العلم بها ومن الشبهات التي تقلدها
من المتفلسفة والمتكلمين حتى حالوا بها بينه وبين تلك الطريقة ولهذا كان كثير الذم لهذه
الحوائل والطريقة العلم وانما ذاك لعلمه الذي سلكه والذي حجب به عن حقيقة المتابعة
للرسالة وليس هو علم وانما هو عقائد فلسفية وكلامية كما قال السلف: العلم بالكلام
هو الجهل وكما قال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق ولهذا صار طائفة ممن رجع
فضيلته ودينه يدفعون وجود هذه الكتب عنه حتى كان الفقيه ابو محمد بن عبد السلام
فيما علقه عنه انه ينكر ان يكون بداية الهداية من تصنيفه ويقول انما هو تقول عليه مع
ان هذه الكتب مقبرة لما أضعاف مردوداتها والمردود منها امور مجملة وليس فيها عقائد
ولا اصول الدين. واما «المضنون به على غير اهله» فقد كان طائفة اخرى من العلماء
يكذبون به عنه واما اهل الخبرة به وبحاله فيعلمون ان هذا كله كلامه لعلمهم بمواد كلامه
ومشابهة بعضه بعضا ولكون كان هو وامثاله كما قدمت مضطربين لا يثبتون على قول
ثابت لأن عندهم من الذكاء والطلب ما يتشوفون به الى طريقة خاصة الخلق ولم يتدبروا
لهم سلوك طريق خاصة هذه الامة الذين ورثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم العلم
والايمان وهم اهل حقائق الايمان والقرآن كما قدمناه واهل الفهم لكتاب الله والعلم
والفهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع هذا العلم بالأحوال والاعمال المناسبة
لذلك كما جاءت به الرسالة ولهذا كان الشيخ ابو عمرو بن الصلاح يقول فيما رأيته بخطه
: ابو حامد كثر القول فيه ومنه فما أعده المكتب يعني للحق فلا يلتفت اليها واما الرجل
فيسكت عنه ويفوض امره الى الله ومقصوده انه لا يذكر بسوء لان عفو الله عن الناس
والمخطئ وتوبة المذنب تأتي على كل ذنب وذلك من اقرب الاشياء الى هذا وامثاله ولان
مغفرة الله للمسلمين عنه ومن غيره وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتي على محقق الذنوب
فلا يقدم الانسان على انتقاد ذلك فرحم الله الابصيري لا سيما مع كثرة الاحسان
والعلم الصحيح والعمل الصالح والقصد الحسن وصورته الله يميل الى الفلسفة نكته ألمت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)